ترجمة معاني القرآن بين التشدد العنصري والمغالطات المغرضة

Translation of the meaning of the Quran between racial segregation and fallacious inaccuracies

إعداد الباحث/ اجديرة يس

طالب باحث في سلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية

E-mail : gyassine@hotmail.com

Tel. 0032 493165659

ملخص:

لقد دخلت الإنسانية بحمد الله في الإسلام بالملايين منذ أن بزغت شمسها في جزيرة العرب وتنزلت كلمات الله عز وجل على رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام برسالة سمحة، فياضة بكل المكارم والخيرات على كل الأقوام والشعوب في كل أرجاء الأرض مهما اختلفت أشكالهم وألوانهم وحضاراتهم وثقافتهم وكذلك لغاتهم.

لقد أظهرت كل الدراسات الحديثة المبنية على أدق التقنيات العلمية أن كل بني البشر سواسية، فلا فضل ولا فروق بينهم إلا بالتقوى وأن أصلهم واحد يعود إلى أبونا آدم وحواء، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" سورة النساء، 1. فكُذِّبَ بالتالي كل النظريات والأفكار التي كانت تقر بعدم تساوي الأعراق وبأفضلية بعضها على بعض وصدق الله العظيم ورسوله عليه أفضل الصلوات. قال ربنا جل جلاله في سورة آل عمران، الآية 64: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"، فمن أجل تبليغ رسالة الله عز وجل ودعوة البشرية برمتها، باختلاف أديانها، السماوية منها وغيرها، إلى هدى الله جل وعلا، اتفق علماء الإسلام على جواز ترجمة معاني القرآن، بل وبوجوبها حتى تعم منافعه على كل ذوي البصائر النيرة ويحق القول على ذوي القلوب العمياء، وكذلك من أجل حماية كتاب الله تبارك وتعالى من الترجمات المغرضة لأعداء الدين الحنيف الذين يتربصون بنا الدوائر. لهذا أصبحنا ملزمين بالتدقيق في ترجمتنا وتوحيد جهودنا في ترجمة معاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: ترجمة، معاني القرآن، العنصرية، التمييز اللغوي، الاستشراق.

Translation of the meaning of the Qoran between racial segregation and fallacious inaccuracies

Abstract

Humanity has entered Islam in millions since its sun began on the island of Arabia. Allah's words have come down on his Holy Messenger with a message of indulgence. All recent studies have shown that all human beings are equal.

There are no differences between them and that they have one origin in Adam and Eve's parents, as Allah stated in his wise book: "O humanity! Be mindful of your Lord Who created you from a single soul, and from it He created its mate,¹ and through both He spread countless men and women. And be mindful of Allah—in Whose Name you appeal to one another—and 'honour' family ties. Surely Allah is ever Watchful over you". Women (An-Nissa')¹. So all the theories and ideas that recognized the inequality of races and the preference for each other fell, and the truth came from Allah and his messenger. "Say, 'O Prophet,' 'O People of the Book! Let us come to common terms: that we will worship none but Allah, associate none with Him, nor take one another as lords instead of Allah." But if they turn away, then say, "Bear witness that we have submitted 'to Allah alone'." "Family of Imran (Ali ' Imran) 64. In order to convey God's message and to call upon all mankind, in all its religions, divine and other religions, to the right path, Islamic scholars have agreed that the meaning of the Koran may and must be translated for the benefits of the Koran. That is why we are obliged to scrutinize our translations and to unite our efforts in translating the meaning of the Holy Koran.

Keywords: Translation, meaning of the Koran, racism, linguistic discrimination, orientalism

-مقدمة:

قال الله ﷻ في كتابه الكريم: "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" سورة ص، الآية 29. الإسلام انتشر بمشيئة الله بانتشار رسالته السمحة في كل ربوع العالم حيث يختلف الناس عن أهل جزيرة العرب، مكان نزول الرسالة الإلهية على محمد ابن عبد الله ﷺ، في الشكل واللون، والحضارة، والثقافة واللغة. واستقبل المسلمون الجدد الإسلام والقرآن والحكمة النبوية بصدر رحب لأنهم وجدوا فيهم السبيل الأوضح للخروج من ويلات الجاهلية وعمة الظلمات إلى نور الله ﷻ طاعة له وطمعا في الفوز العظيم والخلد في جنات النعيم. لكن لو رجعنا إلى الآية الافتتاحية و"تدبرنا" قول الله ﷻ ستتبادر إلى أذهاننا وبطريقة تلقائية أسئلة قد تحير البعض، ولكن بالتدبر والتفكير سنجيب عليها بإذن الله ﷻ: كيف دخلت الإنسانية في الإسلام بالملايين، عبر التاريخ ومنذ بزوغ شمس الإسلام، على تنوع لغاتها واختلافها عن لغة القرآن؟ هل الدعوة إلى الله ﷻ كانت تتم بلغات الشعوب الأخرى، فترجمت بالتالي معاني القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ من العربية إلى هاته اللغات منذ بدايات انتشار الرسالة أم أن كل من أراد اعتناق الدين الحنيف، أو حتى مجرد التعرف عليه، كان يتعلم العربية، فأصبح بذلك تعلمها واجبا وجوب الشهادة أو الصلاة؟ كيف للمسلمين الجدد أن يتدبروا القرآن في لغة أجنبية عن لغتهم الأم؟

العقل الإنساني هو عبارة عن وعاء يحتوي على عدة معلومات وتفسيرات وتصنيفات للأشياء المحيطة بنا، يستخدم عدة أساليب توجه طرق تفكيرنا وإدراكنا للأمور. وهذا الفرز الذي يتكون لدينا يوفر لنا المخزون الفكري الذي نحتاجه للتعامل مع هذا الوسط الذي نعيش فيه، ويمكننا من تحليل كل المعلومات التي تستقبلها أدمغتنا عبر كل فترات حياتنا. فنحن بالتأكد نرى الآخر من خلال إطار مرهون بتجاربنا الملموسة بالإضافة للمعلومات التي نستقيها عنه وتتم مقاسمتها من طرف الأفراد المكونين للمجتمع الذي ننتمي إليه أو الغرباء عنه، أو من خلال ما نقرأه ونسمعه أو ما نتعلمه في المدارس والجامعات، وكل هذا يعطينا نظريات مختلفة عن الوسط المحيط بنا وما يحتوي عليه. وتبدأ الأفكار التي تتكون لدينا في سلك مسار سيء حين نبدأ في التعامل مع الآخر أو المجتمع الآخر بثقافته ولغته وموروثه الحضاري بصورة سلبية، حسب الكيفية التي تريد بها عقولنا بطبيعتها تقسيم عالما إلى تفرعات ثنائية، وهذه الثنائيات تتمثل جليا في لغتنا: "أنا" و"الآخر" أو "أنا" ضد "الآخر". إذن فباستطاعتنا الجزم بأن للتفرقة العنصرية أثر عميق على اللغة، كما أن اللغة تلعب دورا حاسما في بثها، أي أن علاقتهما هي علاقة قطبين مختلفين ولكن تجمعهما مساحة من التشارك. وهذا يعني أن دراسة التمييز والتفرقة والأفكار المسبقة لا تكتمل إلا بالنظر في اللغة ودورها وآثارها، إذ لا يمكن لأحد فهم ثقافة أو مجتمع ما دون المرور بدور اللغة فيهما وبالتالي في تكون الأفكار المسبقة عند الأفراد والجماعات. لأن اللغة، فضلا عن كونها طرفا في الهوية الشخصية، سواء الفردية أو الجماعية، فهي ليست فقط وسيلة لنقل الأفكار الإنسانية فحسب، بل هي أيضا جزء لا يتجزأ من نظام المعلومات الذي يجعل المعطيات تتكون لدينا.

لقد تطورت العنصرية والأفكار العرقية مع ازدياد عدد بني البشر على وجه الكرة الأرضية وتفرقهم في سائر نواحيها وتحول حالاتهم الفيزيولوجية في اللون والشكل وخصوصا في اختلافهم في كل ما يتعلق بالثقافات واللغات والآثار الحضارية. والعنصرية، كفكرة فقط، هي نابعة من العقل البشري، إذن فلمواجهتها وجب على الإنسانية إيجاد الحل لكل أنواع التمييز والتفرقة بين أعضائها في المعالجة النفسية لتلك الأوهام الناتجة عن مجموعة من النظريات الواهية، التي تكونت عبر تاريخ بني آدم، المتحدثة عن اختلاف العناصر البشرية وتفرق عرق على عرق أو أعراق على أخرى. قال تعالى: "قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ" وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ"، سورة البقرة، الآية، 263،

وقال رب العزة أيضا: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)"، سورة آل عمران، الآية 104، وقد أتى في لسان العرب لابن منظور أن: "العرف والعارفة والمعروف واحد: ضد النكر، وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتبشأ به وتطمئن إليه" (ابن منظور، 1997). فالعنصرية ناتجة بالأساس عن الخوف من الغريب النكر، ذلك الشخص الذي نجهله فلا تطمئن إليه قلوبنا، فتتكون بذلك لدى الإنسان ردة فعل سلبية اتجاه كل من نجهله بدل طلب معرفته بطريقة سلمية إيجابية بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف. ألم يقل الله ﷻ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ □". سورة الحجرات، الآية 13. لهذا فالعنصرية ليست محصورة على العرق أو اللون أو الدين، بل هي تتجلى في التحيز الثقافي واللغوي أيضا من خلال كل تعبيراتهما وفي مختلف مجالاتهما. حيث، بما أن اللغة هي محور هذه الدراسة، يمكننا القول أنها تلعب دورًا حاسمًا في التعامل العنصري بالتأثير على جميع أشكال العلاقات السلمية بين بني الإنسان.

- أهمية البحث:

- قال الله ﷻ في مُحكم كتابه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّنَا غَامِلُونَ (5)" سورة فصلت، الآيات 1-5. قد يتحدث البعض عن عربية القرآن فيضعها موضع الخطاب الإلهي جاعلا منها لغة مقدسة غير قابلة للترجمة الى لغات العالم حيث لا يمكن أن يتم فهم القرآن إلا بها ومنها وأن كل ترجمة، ولو كانت لمعاني القرآن فقط، إنما هي تطاول وتجروء على آيات الله ﷻ معللا تأويله بهذه الآيات الكريمة. رغم أننا نعلم أن المخاطبين فيها هم كفار قريش، حيث جاء في تفسير القرطبي: "قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ" ... قِيلَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ اسْتَعْشَى عَلَى رَأْسِهِ ثَوْبًا وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ. اسْتَهْزَأَ مِنْهُ حَكَاةُ النَّقَّاشِ وَذَكَرَهُ الْقُسَيْرِيُّ. فَالْحِجَابُ هُنَا الثَّوْبُ. "فَاغْمِلْ إِنَّنَا غَامِلُونَ" أَيِ اعْمَلْ فِي هَلَاكِنَا فَإِنَّا غَامِلُونَ فِي هَلَاكِكَ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اعْمَلْ لِإِلَهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، فَإِنَّا نَعْمَلُ لِإِلَهَتِنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا. وَقِيلَ: اعْمَلْ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُكَ، فَإِنَّا غَامِلُونَ بِمَا يَقْتَضِيهِ دِينُنَا. وَيَحْتَمِلُ خَامِسًا: فَاغْمِلْ لِأَخْرَجِكَ فَإِنَّا نَعْمَلُ لِدُنْيَانَا، ذَكَرَهُ الْمَوْرِدِيُّ. ويمكن كذلك أن نقرأ في سورة الشورى، الآية 7: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ" أي أن القرآن لم يُنزل فقط من أجل العرب الذين يحسنون العربية، بل الى كل من هم حول أم القرى من أعاجم في كل أنحاء الأرض. وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة، حيث سنحاول الإجابة على كل التساؤلات التي بإمكانها أن تبرهن على أن القرآن عربي اللغة، ذو أسلوب ونظم معجز، أي نعم، ولكن من الواجب ترجمة معانيه من أجل تبليغ الرسالة لأكبر عدد من الناس في مشارق الأرض ومغاربها: "فَاغْمِلْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"، سورة الحجر، الآية 94، جاء تفسير هذه الآية في الميسر — مجمع الملك فهد: "فاجهر بدعوة الحق التي أمرك الله بها، ولا تبال بالمشركون، فقد برأك الله مما يقولون".

- أهداف البحث:

- 1- من المؤكد أن ما يهمنا من خلال كتابة هذا البحث هو تقديم منظور علمي في ميدان الترجمة وخصوصا الترجمة الدينية والتركيز على مجهود ترجمة معاني القرآن الكريم.
 - 2- حيث، في البداية وبما أن ميدان الترجمة مرتبط بشكل وطيد بالعلاقات الاجتماعية الإنسانية، سنحاول تقديم تحليل للمشاكل المتصلة بالتعامل البشري على مستوى الثقافات واللغات، وكيف أن رفض الآخر والتعامل السلبي الناجم عنه يمكن أن يؤدي بالإنسانية الى عواقب غير محمودة.
 - 3- وسنركز على أهم الجوانب التاريخية التي أثرت على الانغلاق الذي عرفته الثقافة العربية والإسلامية المنبثقة عنها، بتخصيص الجزء الأكبر والأهم للغة العربية، لغة القرآن. وسيتم ذلك بطريقة تدريجية لربطه بعد ذلك بمشاكل ترجمة المعاني القرآنية في حد ذاتها والحلول المقترحة لها من أجل الباحثين والمترجمين.
 - 4- سنحاول ربط كلية عرض البحث بتوصيات في الموضوع، مؤكدين على وجوب ترسيخ وتوحيد كل مشاريع ترجمة القرآن الكريم وإرسائها على قواعد وأسس علمية محضة مع احترامها للمعايير الإسلامية في ترجمة الخطاب الإلهي المحفوظ بإذن الله ﷻ.
 - 5- ثم سنسلط الضوء على ضرورة دعم سبل انفتاح كل مجهود في الترجمة القرآنية على الإنجازات العلمية والتكنولوجية التي يعرفها ميدان الترجمة بشكل خاص في ظل كل وسائل المعرفة الحديثة التي أتت بها ظروف العولمة وانكماش العالم الى قرية صغيرة.
- قال الله ﷻ في القرآن الكريم: " إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " سورة البقرة، الآية 23 وهنا يخاطب الله ﷻ قريشا، وهم أهل فصاحة وبلاغة وبراعة في العربية، فيقول لهم أنهم على علمهم بلغتهم إن ارتابوا في معجزة القرآن الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ فليأتوا ولو بسورة مثله، لكنهم عجزوا عن ذلك الأمر، فكان ذلك حجة على نبوة محمد ﷺ وبرهانا على معجزة القرآن، الذي هو كلام الله ﷻ والذي لم يتقوله ولم يختلفه رسوله الكريم ﷺ، لقريش ولكل الناس أجمعين في كل الأزمنة والأماكن. ولكن وراء هذا الريب المبدد بإعجاز كلام الله ﷻ تتواري مشكلة هذه الدراسة: أتى لنا أن نترجم الخطاب الإلهي إذا قبلنا بمُسَلِّمة أن الترجمة هي ليست إلا مجهودا بشريا، مُعَرَّضاً للخطأ بطبيعته، يعتمد على إعادة صياغة النص المترجم في لغة القارئ المُسْتَقْبِل؟ إذن فهذا المجهود يتطلب نوعا من الإبداع، بينما نحن نتكلم عن نص مُنَزَّل من الله ﷻ ومُنَزَّه من كل خطأ، لا يقبل أي تبديل أو تغيير. هذا وقد صرح عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، في خطبة الجمعة: "خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة". وأسند النسائي بإسناد حسن: "وكل ضلالة في النار"، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "ياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"، وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وقال عليه الصلاة والسلام: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" أخرجه مسلم في صحيحه.
- قال الله ﷻ في سورة يوسف، الآية 2: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" وقد أتى في تفسير الميسر — مجمع الملك فهد: "إننا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب؛ لعلكم -أيها العرب- تعقلون معانيه وتفهمونها، وتعملون بهديه". إذن فالقرآن نزل بلغة العرب على العرب ليعقلوه ويتدبروه،

ولكن ألم يأت فيه أيضاً؟ "لَتَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا" وهذه الآية إن دلت على شيء فهي بالتأكيد تدل على أن هذا القرآن نزل على الرسول الكريم ﷺ لكيلا يبقى حصراً على العرب وأن يُنشر كلامه ورسائلته في كل بقاع العالم.

1- العنصرية والوحدة الكلية البشرية:

لقد أصبح مفهوم العنصر البشري والعرق في منظور العلوم الحديثة وخصوصاً علم الجينات، مفهوماً متجاوزاً مجرداً من أي ثوابت أو أسس علمية. حيث أمكن اليوم استناداً إلى أحدث الاكتشافات في علم الجينات ومن خلال قراءة الجينوم البشري أن يُبطل مبدأ التقسيم العرقي وأن يُثبت ببراہين وحجج لا تقبل النقاش أنه لا وجود إلا لعنصر بشري واحد يجمع كافة البشر وأن النظريات التي كانت تقر بتعدد الأعراق بل وتتفوق بعضها على البعض هي واهية، قال الله ﷻ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"، سورة الحجرات، آية 13.

لقد تعايش الإنسان منذ القدم مع مفاهيم العنصرية والعرقية المسخرة أساساً من طرف إيديولوجيات قومية تعزز ثقافة الهوية والانتماء عند الأفراد والجماعات لتبرير الانتهاكات من جرائم وإبادة. لكن إذا درسنا عن قرب كل هذه التجاوزات الدرامية التي عرفها تاريخ البشرية لوجدنا أن هدفها الرئيس كان (ولم يزل) هو استعباد الجماعات المغلوبة والاستيلاء على الثروات، لأن "المال عصب الحرب"¹ كما يقول المثل.

أما من وجهة نظر الدين، فالديانات السماوية كلها لم تختلف حول تعريف الجنس البشري الذي يركز على مبدأ انتساب البشرية جمعاء إلى آدم وحواء. قال ﷻ:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا"، سورة النساء، آية 1. وفي الكتاب المقدس، العهد القديم: "7 وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة... 21 فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، وفيما هو نائم أخذ إحدى أضلاعه وسد مكانها بلحم. 22 وبنى الرب الإله امرأة من الضلع التي أخذها من آدم فجاء بها إلى آدم."، سفر التكوين إصحاح 2: 7-21-22.

وهذه الفكرة بحكم تعريفها تؤيد المنظور العلمي الحديث، وتؤكد الأصل الإنساني الواحد الذي يجب على البشرية أن تلتف حوله. روى أبو هريرة في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ قال: "الناس بنو آدم، وأدم خلق من تراب"، أخرجه الترمذي، فهذه النقطة المشتركة بين العلم الحديث والدين تستبعد كل الفروقات المبنية على الانتماء الإثني، الشكلي أو حتى الثقافي واللساني، لأن الثقافات واللغات على اختلافها وتوزيعها في أركان الأرض تبقى متساوية، فمن غير المعقول أن أرجح كفة لغة أو ثقافة ما على أخرى مستنداً برؤية ما أو ذوق لأنها حصيلة عملية ذاتية يصعب، بل يستحيل، إثباتها علمياً.

1 "المال عصب الحياة": مثل لاتيني "Pecunia est nervus belli" يعود للخطيب الروماني سيسيريون، يعني أن المال هو الدافع الأساس للحروب. قياساً، يستعمل هذا المثل للتطبيق على كل مشكل أصله وحله ماليّان.

1-1 التفوق العرقي:

لقد بدأت المبادئ الفلسفية التي تنادي بعدم التساوي بين الجماعات البشرية تنتشر مع مطلع عصر النهضة الأوروبي، كمبدأ تعدد الأصول² الذي نفى انحدار الجنس البشري من أصل زوج واحد وتبنى فكرة وجود أصول متعددة للإنسان ومن ثم زعم بأن تعدد الأجداد تولد عنه تنوع، بل وفوارق بين الجماعات البشرية.

في سنة 1859 نشر عالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز داروين كتابه الشهير "أصل الأنواع"³ حيث وضع تصور لمفهوم تطور الكائنات الحية حسب التغييرات العشوائية التي تطرأ من جيل لآخر من أجل التلاؤم مع المحيط الطبيعي. ولم يكتف داروين بتطبيق نظريته على الحيوانات غير الناطقة بل أكد أن منظوره ينطبق على الإنسان كذلك بحكم انتسابه أساساً لجنس الحيوان قبل كل شيء. هذه الدراسة أحدثت ثورة علمية بعد نشرها ونتاجت عنها بطبيعة الحال مقاطعة وشرح عظيم مع الفكر الديني الذي يداول ويؤيد عقيدة آدم وحواء كأول أسلاف للبشر.

وفي نفس القرن أخذ بعض علماء الطبيعة والبيولوجيا وكذلك بعض علماء النفس على عاتقهم مهمة تصنيف وترتيب "الأعراق" البشرية هرمياً حسب معطيات لون البشرة، ملمس الشعر وحجم الجمجمة، الذي يعطي فكرة، على حد زعمهم، على درجة الذكاء عند الجنس المدروس. ومن هنا تم الإقرار بدونية أعراق مقارنة بأخرى وطبعاً تم وضع الإنسان الأبيض البشرة، الجنس الآري، في قمة هذا الترتيب الهرمي وتم اعتبار عرقه كأصل للإنسانية وأن كل الأعراق الأخرى باختلاف ألوانها وأشكالها ما هي إلا تحولات فيزيولوجية جاءت نتيجة لفعل عوامل الزمن والتنقلات البشرية عبر أنحاء الأرض.

من فكرة التفوق العنصري انبثقت في بعض الأوساط العلمية فكرة أفضع تنبني على ضرورة تجويد الجنس البشري بتطهيره من العناصر التي تعتبر دونية ومتخلفة. الفرنسي آرتور دو جوبينو ألف كتاباً في هذا السياق ونشره سنة 1853 تحت عنوان "مقال حول عدم المساواة بين الأجناس البشرية"⁴ أكد فيه على تفوق الجنس الآري (الهند-أوروبي) وضرورة الخضوع لمفهوم الانتقاء الطبيعي لمجموعات بشرية أقوى على حساب من هي أضعف. هذه الدراسة ودراسات أخرى تلتها كان لها تأثير كبير على أنصار النظريات العنصرية في أوروبا عامة وفي ألمانيا بشكل خاص حيث ألهمت مُنظري وزعماء مذهب القومية-الاشتراكية والفكر الفاشي والنازي.

بالتالي فالملاحظ هو أنه انطلاقاً من أفكار ودراسات قد تبدو هينة في الوهلة الأولى تطورت التأويلات والتعليقات ليبدأ البعض في المطالبة ببقاء وصفاء عرق ما على حساب الآخرين،

2 تعدد الأصول: (polygénisme) بمعنى أن البشر لا ينحدرون من نفس الأصل. استخدمت هذه النظرية كمقدمة لنظرية تراتبية الفصائل البشرية لتبرير الإساءات التي كان يقترها المستعمرون الأوروبيون ضد السكان المحليين.

3 داروين، تشارلز، (2004). ترجمة مجدي محمود المليجي. أصل الأنواع، نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتقاء الطبيعي أو الاحتفاظ بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة. القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة،

4 مقال حول عدم المساواة بين الأجناس البشرية:

Comte de Gobineau J.-A., 2015, Essai sur l'inégalité des races humaines, Crissier, Suisse : FB Editions

فتخرج تلك المطالبة من وراء ستار البحث العلمي الى الجهل المقنع لتتأسس وتظهر للعالم في صورة درامية، صورة وصمة لا زالت تلطخ تاريخ بعض الأفراد والجماعات وجرح غائر لا يلتئم في جسد آخرين: نظام مبني على الانتماء العرقي وحكم العنصرية.

2- الميز اللغوي:

1-2 القومية العربية:

لقد ابتدأ وعي العرب بانتمائهم لما يشبه كتلة واحدة، أي كجماعة مختلفة عن غيرها، قبل ظهور الإسلام. حيث ظهر هذا الوعي بضرورة الوحدة رداً على محاولات الغزو التي كانت تأتي من الجيران المباشرين لجزيرة العرب: الروم البيزنطيون في الشمال والغرب، الفرس الساسانيون شرقاً والأحباش جنوباً. لكن مع بزوغ شمس الإسلام حلت وحدة الدين محل أي فكرة أخرى لتتجس في لم شمل العرب والعجم باختلاف ألوانهم وألسنتهم وثقافتهم، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: "وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)"، سورة الأنفال، الآيات 62-63. وقد جاء في تفسير الطبري: "حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخواري، عن الوليد بن أبي مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما. قال قلت لمجاهد: بمصافحة يغفر لهما؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول: (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم)؟ فقال الوليد لمجاهد: أنت أعلم مني".

لكن "القومية" العربية بالمعنى الحديث للاصطلاح، أي الشعور بالانتماء للعنصر العربي المبني أساساً على الوحدة اللغوية وضرورة جعله رابطاً أساساً بين الشعوب العربية لم تولد إلا في القرن التاسع عشر. حيث جاءت هذه الولادة كردة فعل على تدهور حال الإمبراطورية العثمانية وأحوال بلاد الإسلام، أو ما كان يطلق عليه آنذاك "الأمة الإسلامية"، الخاضعة لحكم السلطان، أمير المؤمنين. بحيث أن الدين الإسلامي، بشكل عام، كان هو المقياس الأساس في التقسيم السياسي والمحدد الرئيس للانتماء الجماعي.

بداية كانت مطالب القوميين مقتصرة على بلاد الشام ومحصورة في الإصلاح داخل مكونات الدولة العثمانية، والمُنَاداة باعتماد اللغة العربية في التعليم والإدارات المحلية. ثم تكاثرت بعد ذلك المشاعر القومية تزامناً مع انهيار قوة السلطان والإمبراطورية العثمانية في بدايات القرن العشرين وازدياد أطماع الدول العظمى في احتلال المنطقة العربية بتأجيج نيران الكره للأتراك في أنفس العرب. وقد ظهر العديد من المفكرين والكتاب العرب الذين تبنا نظرة المنظرين الغربيين للقومية وبدأوا يبشرون بميلاد المقومات الأولى للقومية العربية في العالم العربي. نجيب عازوري كان من بين هؤلاء الرواد في كتابه "يقظة الأمة العربية"⁵، الذي كتبه لسبب ما باللغة الفرنسية، والذي دعا فيه إلى تحديث عنها المفكرون القوميون الغربيون مثل أرنست رينان في كتابه الشهير "ما هي الأمة؟"⁶ الذي وجد آنذاك انفصال العرب عن سلطة العثمانيين وتأسيس دولة عربية خاصة بهم،

5 يقظة الأمة العربية:

Azoury Negib, Le réveil de la nation arabe, Kessinger Publishing, 2009.

6 ماهي الأمة:

Renan Ernest, Qu'est-ce qu'une nation ? République des Lettres, 2012.

IJRSP

نظرا للخطاب والنهج السياسيين اللذان كانت تعتمدهما تلك التنظيمات، حيث أنه في غياب مرجعية إسلامية حكومية ذات مصداقية وفشل الحكومات في تقديم بديل عن ما كان ينظر إليه كأجداد الماضي الإسلامي، أصبح المجتمع في أغلبية خطيرة يشعر رويدا رويدا بالانتماء لهذا الفكر المحدث. فلاحظنا الظهور المكثف لحركات يمكننا تسميتها "بالإسلاموية"، لممارستها إغراء إيديولوجيا على الجماهير المتعطشة لبديل للقومية العلمانية. وقد جاء ذلك من خلال العمل السياسي بطريقة غير واضحة المعالم أي بدون برنامج سياسي يبين نواياها المستقبلية العملية اتجاه الأمة. والهدف الأول لهذه التنظيمات، كما يمكن أن يستوضح عنه أي باحث في الشأن السياسي العربي، هو تعبئة الجماهير من أجل خدمة مصالحها. "الإسلاموية" تعني الشعبوية التي تتخذ من الدين الإسلامي ذريعة لخطابها السياسي النزيء وترفع شعار: "الإسلام هو الحل" لتخاطب بطريقة تضليلية معاناة الشعوب، وفي نفس الوقت فهي تتخذ من الدين حجة لمواجهة خصومها واستبعاد كل من لا يناصر أفكارها من ساحة الحل السياسي، بل هناك من يمضي أبعد من ذلك - وهم للأسف ليسوا بقلّة داخل هذا التوجه- فيضع المنافس والمناهض والمناوئ في سلة واحدة بتكفير كل من يرفض أفكارهم. قال الله ﷻ: " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۖ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " سورة الأنعام، الآية: 159، وقد جاء تفسيرها في الميسر — مجمع الملك فهد: "إن الذين فَرَّقُوا دِينَهُمْ بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فِرَقًا وأحزابًا، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته".

فالملاحظ أن واقع الحال منذ ظهور هذه "الصحة" مليء في الحقيقة بما يناقض هذا المصطلح، لأن تعدد المذاهب والطوائف والفرق بين شيعة وسنة وصوفية وسلفية وتكفيرية وإخوان وقاعديين وداعشيين، إلخ.. جعل منها مرادفا لفتنة شاملة أبطلت مبادئ الوحدة التي تدعو لها، في ظاهر الأمر.

لقد لمسنا عند مناصري هذه الصحة نظرة لا تقل دونية وتحقيرا للآخر عن مثلائهم الموالين لأفكار القومية والعرقية، نظرة استعلاء للثقافة بشكل عام وللثقافات واللغات "الأعجمية" بشكل خاص، رغم أن أغلب من يدينون بالإسلام في أنحاء الأرض، من رفعوا راية هذا الدين في عنان السماء ودافعوا عنها بأموالهم وأنفسهم وأعطوا المثل الحسن لكل من أراد أن يعتنقه، كانوا ولا يزالون من العجم. بل يمكن القول إن هذه الحركة الصّحّوية في تكريسها لعقلية الإقصاء والانفراد بالرأي ورفض الآخر وإن كان من نفس العقيدة، أتت بقراءة جديدة للدين من خلال تقديس اللغة العربية اعتباطا واعتبارها بدون علة جائزة أول لغة تكلم بها سيدنا آدم وأنها لغة الآخرة، أي لغة الحساب ولغة أهل الجنة. روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي". قال الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 161: موضوع.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بماذا يخاطب الناس يوم البعث؟ وهل يخاطبهم الله تعالى بلسان العرب؟ وهل صح أن لسان أهل النار الفارسية وأن لسان أهل الجنة العربية؟

فأجاب: " الحمد لله رب العالمين لا يُعلم بأي لغة يتكلم الناس يومئذ، ولا بأي لغة يسمعون خطاب الرب جل وعلا؛ لأن الله تعالى لم يخبرنا بشيء من ذلك ولا رسوله عليه الصلاة والسلام، ولم يصح أن الفارسية لغة الجهنميين، ولا أن العربية لغة أهل النعيم الأبدى، ولا نعلم نزاعا في ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم، بل كلهم يكفون عن ذلك لأن الكلام في مثل هذا من فضول القول... ولكن حدث في ذلك خلاف بين المتأخرين، فقال ناس: يتخاطبون بالعربية، وقال آخرون: إلا أهل النار فإنهم يجيبون بالفارسية، وهي لغتهم في النار. وقال آخرون: يتخاطبون بالسريانية لأنها لغة آدم وعنها تفرعت اللغات.

وقال آخرون: إلا أهل الجنة فإنهم يتكلمون بالعربية. وكل هذه الأقوال لا حجة لأربابها لا من طريق عقل ولا نقل بل هي دعاوى عارية عن الأدلة والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم"، (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 299/4، 1995)

2-3 الميز اللغوي وتبليغ الرسالة:

الميز بين الناس في اللغة هو ظاهرة تجلت منذ القدم، وخير مثال على ذلك الخطاب الديني التوراتي الذي جسد هذا النوع من العنصرية من خلال رواية البلبلة التي تصور تنوع ألسنة البشر كانتقام إلهي منهم لخوفه منهم، والعياذ بالله من هذا الوصف، وتضفي نوعاً من القدسية على اللغة الموحدة:

"(1) وكان لأهل الأرض كلّها لغةً واحدة وكلام واحد. (2) فلما رحلوا من المشرق وجدوا بقعةً في سهل شينعار، فأقاموا هناك. (3) وقال بعضهم لبعض: تعالوا نصنع لُبًّا ونشويه شيئاً، فكان لهم اللُّبُّ بدل الحجارة والتراب الأحمر بدل الطين. (4) وقالوا: تعالوا نَبِّنْ لنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء. ونُفِّم لنا اسماً فلا نتشتت على وجه الأرض كلّها. (5) ونزل الربُّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنيونهما. (6) فقال الربُّ: ها هم شعب واحد، ولهم جميعاً لغةً واحدة! ما هذا الذي عملوه إلا بدايةً، ولن يصعب عليهم شيء مما يُنَوَّن أن يعملوه! (7) فلننزل ونُبَلِّل هناك لغتهم، حتى لا يفهم بعضهم لغةً بعض. (8) فشتتهم الربُّ من هناك على وجه الأرض كلّها، فكفوا عن بناء المدينة." * سفر التكوين 11: 1-8

أما بخصوص الدين الإسلامي فالقرآن جعل من اختلاف ألسنة البشر وتنوعها آية من آيات الله تعالى، أي معجزة من معجزات الله ﷻ التي يجب التوقف عندها والتأمل فيها كباقي صنعته تعالى: "أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا" فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" سورة الحج، آية، 46. والمعنى في الاختلاف والتنوع أنه على كثرة الناس وتباينهم، رغم أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة لا تتشابه الأصوات ولا طرق الكلام، والله ﷻ قدّر ذلك الاختلاف لكيلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب بين خلقه.

لقد بُعث الرسول ﷺ إلى كافة البشر ليظهر لهم أنه بُعث فيهم ليزيح الظلم والبغي وليزيل عنهم ويلات العنصرية المبنية على اختلافات الدين والوطن واللون واللسان. أي نعم هو نبي عربي أرسله الله بلسان عربي مبين، قال ﷺ: "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ○ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ○ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" سورة الشعراء، الآيات 192-193-194-195. ولكن الله أرسل محمداً ﷺ للبشرية جمعاء لكي يهديها أول ميثاق متكامل لحقوق الإنسان: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أبابكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى،" "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فيبلغ الشاهد الغائب"، حديث صحيح حدثنا به الألباني في شرح الطحاوية، وهنا ومن خلال خاتمة هذا الحديث الشريف يمكن ملاحظة التوكيد على أهمية تبليغ الرسالة. لكن المؤسف هو أن قراءة البعض للخطاب القرآني ولأحاديث ضعيفة رُفعت إلى رسول الله ﷺ، تميل إلى التحيز للغة العربية، مانحة إياها طابعاً قومياً يصغر من حجم عالمية الرسالة التي أتى بها محمد ابن عبد الله ﷺ.

التحيز اللغوي كان دائماً نتيجة لأسباب عرقية صِرْفه، حيث كان العرب ومنذ القدم يتفاخرون بلغتهم ويتحيزون لها ويتباهون بها بينهم وأمام غيرهم من الأقوام إلى درجة أنهم أطلقوا على كل الشعوب الأخرى إسم "العجم"؛ أتى في معجم المعاني الجامع: "العَجْمُ: خلافُ العَرَبِ، الواحد: عَجَمِيٌّ، نَطَقَ بالعربية أو لم ينطق"، ويقال لشخص في كلامه عَجْمَةٌ أي فيه إِبْهَامٌ وَعَدْمُ الْإِفْصَاحِ فِي الْكَلَامِ.

وفي هذا نوع من الاحتقار للشعوب الأخرى لأنه أتى في نفس المعجم أن العجماء هي البهيمة وأن الأعجم هو الأخرس عند العرب. أما الإسلام لما نزل في جزيرة العرب فقد استنكر هذه النزعة العنصرية وحرّمها لقوله ﷺ: "إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ"، سورة الفتح، الآية 26. فالإسلام جاء سمحا يحترم كل بني البشر على اختلافهم ولم يجعل التفاضل بينهم بالعرق أو باللون أو بالثقافة أو باللغة ولكن بالتقوى فقط: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". إن هذا الدين هو الذي ساوى بلال ؓ الأسود البشرة الحبشي بسادة قريش ولم يفرق بينهم، وهو من أخى بين صهيب الرومي ؓ الأعجمي مع المسلمين العرب دون تمييز ولا تفضيل. وقد اعتبر النبي ﷺ أن كل من يدعو للعصبية أيا كان نوعها فهو خارج عن دين الله ﷻ حيث أنه فيما أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في العصبية، عن جبير بن مطعم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ".

لكن، وللأسف، لقد جعل بعض الغلاة للغة فقها ومن فقه اللغة أداة للغلو والانغلاق والتقوقع، أقصى غاياته الافتخار بالعربية بطريقة مبالغ فيها، بإجلال السلف من شعراءها وأدباءها واعتبارها معجزة إلهية على الرغم من تواجدها قبل نزول القرآن الكريم وعلى الرغم من كونها في حقيقة الأمر واسطة شكلية لنقل الخطاب الإلهي: "إِعْجَازُ الْقُرْآنِ: مَعَانِيهِ الْبَلِيغَةُ بِأَبْلَغِ الْأَسَالِيبِ مِمَّا يَعْجِزُ عَنْهُ النَّاسُ"، كما جاء في معجم المعاني الجامع. إذن إذا استندنا إلى هذا التعريف اللغوي فإعجاز القرآن الكريم يكمن في الخطاب نفسه وليس في أدواته وإلا فلم لا تمنح العبرية والأرمية والسريانية صفة الإعجاز لكونهن أيضا أدوات لغوية خاطب بها الله ﷻ المؤمنين السابقين من الديانات التي سبقت نزول الإسلام، ألم يقل الله ﷻ في كتابه الحكيم: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۚ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، سورة إبراهيم، الآية 4. فهذه الشوفينية اللغوية هي متطفلة على رسالة القرآن لأن رب العزة ﷻ قال في محكم كلامه: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ"، سورة يوسف، الآية 104، وقد جاء تفسيرها في الميسر — مجمع الملك فهد: "إن الذي أرسلت به من القرآن والهدى عظة للناس أجمعين يتذكرون به ويهتدون".

2-4 الدعوة إلى الله وكونية الرسالة:

قال رب العزة جل وعلا: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ"، سورة البقرة، الآية 159. وقد جاء تفسير هذه الآية في تفسير السعدي كالآتي: "هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله (مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالات على الحق المظاهرات له، (وَالْهُدَى) وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتُموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) أي: يبعدهم ويطردهم عن قربته ورحمته. (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد."

القرآن الكريم هو كتاب الله ﷺ ولا أحد بإمكانه أن ينفي أن نزوله على نبي الله محمد ﷺ رفع من شأن اللغة العربية ووضعها في مرتبة عالية لأنها أضحت الوسيلة التي تحمل كلام الله ﷻ إلى نبيه محمد ﷺ الذي بلغ رسالة ربه على أحسن وجه كما كان الحال بالنسبة لعبرية التوراة التي تنزلت على سيدنا موسى وأرامية وعبرانية الأناجيل على لسان سيدنا عيسى.

لكن هل وقعت الدعوة إلى الله تعالى عند الرسول الكريم ﷺ؟ لا شك أن تبليغ الرسالة لم يقف عند رسول الإسلام ﷺ بل وجب على أصحابه وعلى أمته من بعده لكي يعم خيرها على الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم، فقد جاءت الأدلة متعددة في الكتاب كما في السنة على وجوب تبليغ الرسالة المحمدية والدعوة إلى الله، منها قوله ﷺ: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" سورة آل عمران، الآية 104؛ وقوله ﷺ: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"، سورة النحل، الآية 125؛ وقوله أيضاً ﷺ: "وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" سورة القصص، الآية 87؛ وقول رب العزة في سورة يوسف، الآية 108: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي". فقد أمر الرسل وكذلك من اتبعهم بدعوة الناس إلى توحيد الله وطاعته بالإنداز من هول عذاب الله لمن عصاه وأشرك به وبالتبشير بنعيم الجنة للمؤمنين. والدعوة مهمة جسيمة وعظيمة وشرف كبير لكل من هداه الله ﷻ للقيام بها كما امرنا الله بها، حيث قال الله ﷻ: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، سورة فصلت، الآية 33. وقد جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" رواه مسلم في صحيحه. فهذا الحديث إن دل على شيء فإنما هو يدل على حث رسول الله ﷺ على ضرورة التبليغ للناس كافة وأجر الدعوة لله، فالداعي إلى الله يجري له ثواب من اهتدى بدعوته. وجاء في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي مسعود الأنصاري قال رسول الله ﷺ: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ"، فكل مؤمن أرشد إلى خير يكون له إذن مثل أجر من هداه. وروى البخاري ومسلم في صحيحهما: عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه"، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال صلى الله عليه وسلم: "أين علي بن أبي طالب ﷺ؟"، فقالوا: يشتكي من عينيه يا رسول الله، قال: "فأرسلوا إليه فأتوني به"، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: علي ﷺ يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"، هذه الوصية من النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تبين لنا بجلاء حرص النبي عليه الصلاة والسلام على تحقيق الرحمة بين الناس جميعاً على اختلافهم واختلاف انتماءاتهم. وحمر النعم هي الإبل الحمر وكان يضرب بها المثل في نفاسة الشيء، حيث أراد الرسول الكريم ﷺ بها أن يُدَّكر الناس بأجر الدعوة لله ﷻ وأنه أعظم من كل متاع الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر". من هنا وبعد تلاوة كل هذه الآيات والأحاديث تتبادر منطقياً أسئلة أخرى إلى الأذهان لا يسعنا إلا الإجابة عنها بمنهجية واضحة لإثبات صحة نظرنا ونفي ضدها: إذا وجبت دعوة شعوب العالمين لرسالة الإسلام فكيف السبيل إلى ذلك وقد اختلفت ثقافات ولغات بني آدم؟

إذا كان الإسلام يدعو بصريح العبارة الى التدبر والتفكر في خلق الله أي أنه يدعو الى اتباع سبيل المعرفة ونهل العلم بشتى أنواعه، قال الله ﷻ: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"، سورة طه، الآية 114، وقال ﷻ: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"، سورة الزمر، الآية 9،

وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة ؓ عن النبي ﷺ قال: "إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير". وصححه الترمذي؛ فهل نَعْلَمُ لغات الأقوام واجب على المسلمين حتى يتمكنوا من نقل كلام الله وحديث رسوله الى لغاتهم أم أن قدسية العربية، كما يعتقد البعض، تمنع وتحرم هذا العمل؟ ربما، لتبرير هذا السؤال وجب علينا قبل كل شيء أن ننطلق من هذه المسلمة عند بعض أصوليي اللغات والتي تفيد أن "النص المترجم لا يمثل إلا بديلا رديئا للنص الأصلي": منطقيا وانطلاقا من هذا الجملة، لا يمكن للجواب إلا أن يأتينا بسهولة ووضوح: لا شك أنه سيتعذر علينا ان نضع ضرورة الترجمة دائما في موضع الريبة بالانزواء في نظرة متطرفة عقيمة تقدم الجهل بالثقافات الأجنبية والديانات السابقة للإسلام، وربما اللاحقة أيضا، كإقصاء لمجهود أو لهدف قيل عنه أنه غير مثالي، مقارنة بقدسية الأصل، فنقع في التناقض الفكري: الترجمة "ضرورة تافهة". لأنه يجب أن نعترف يوما ما أن المجهود الترجمي والترجمات كنتيجة له يُكوّنان حقلا فكريا خصبا لكل التوجهات العلمية الدينية منها والدينية.

الترجمة هي عملية نحاول من خلالها الربط بين البعيد والقريب فهي تمثل في نفس الوقت تباعدا عن الأصل وتقريبا له وهنا يكمن سر مزاولتها، فهي كشجرة معاوية إذا مدت وجب إرثائها وإذا أرخيت وجب مدها. والإنسان عادة لا ينقل إلا الفكرة التي هو مقتنع بها ليضع نفسه في حيز ثقافي مشترك مع الآخر. إذن فهذا الجهد يجعلنا نندرج في فكرة العطاء ونبتعد عن أفكار العدا، داخل ما يمكن أن نسميه بيتا واحدا تظل أبوابه مفتوحة على مصراعها لكل عضو جديد؛ خصوصا إذا تعلق الأمر بترجمة نص مقدس أو لغة تنسب لها القدسية، حيث يتولد لدينا سلوك يشجع على التفكير والتدبر في هذا الغموض الذي يميز علاقة البعيد بالقريب والمتواجد في صلب الجهد الترجمي.

للأسف كثيرهم من يظنون أن عملية الترجمة، قبل أن تكون خيانة للنص وللغة المنبع، كما يقول المثل الإيطالي الشهير "Traduttore, traditore" أي "الترجمة خيانة" (وهنا اعتمدت عن قصد ترجمة لمعنى المثل، حتى يكون النص الهدف أكثر بيانا للمتلقي العربي ومناسبا في تركيبه للغة الهدف)، هي أيضا عبارة عن استيلاء على المجهود الفكري والثقافي في مصدره ونقله للغة الهدف بطريقة قد يعتبرها البعض باللبقة في أفضل الأحوال، بينما يصفها آخرون بقرصنة فكرية ذات نوايا مسبقة ومغرضة.

ولكن هناك سؤال يبقى محيرا أكثر بالنسبة لمؤيدي الترجمة، لماذا احتقر العرب الترجمات الدينية والقرآنية من العربية الى اللغات الأجنبية؟ وماهي العوامل الأساسية التي أثرت في الرأي المتطرف الذي يستصغر ويحرم ترجمة القرآن الى لغات العجم؟

2-5 الاستشراق والترجمة من العربية:

قال الله ﷻ في كتابه العزيز: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"، سورة البقرة، الآية 120.

إن الاستشراق هو مشتق من كلمة "شرق" أي "مطلع الشمس" ومعناه لغة: طلب الشرق. إذن فكلمة "الاستشراق" تدل على علم يهتم بما يحتوي عليه الشرق من علوم ومعارف وثقافات وميزات حضارية. أما "المستشرق" فهو العالم الذي وهب نفسه للبحث والاهتمام بما يتعلق بالشرق وما يضمنه من علوم ومعارف في مجالات عديدة ومختلفة.

ومفهوم الاستشراق يختلف عند العلماء والباحثين، حيث أبدى العلماء آراء متنوعة حول مفهوم الاستشراق اصطلاحاً:

1 - قال الدكتور إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق": "إن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعمل به هذا المستشرق يسمى استشراقاً... وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستينائه وامتلاك السيادة عليه". (سعيد. إ.، 2006، ص44)

2- وفي رأي الدكتور محمد فتح الله الزيايدي: "هو دراسة الشرق عموماً ودراسة الإسلام والمسلمين خصوصاً بقصد التشويه والتشكيك". (الزيايدي. م. ف.، 1998، ص61)

3 - وقال الدكتور شكري النجار: "إن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة توجيهه والتحكم فيه". (النجار. ش. 1983، ص31/ع71)

4- قال الدكتور محمود حمدي زقزوق: "الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله؛ أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته، وآدابه وحضارته وأديانه. ولكننا هنا لا نقصد هذا المفهوم الواسع، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعنى "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام. وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق". (زقزوق. م. ح.، 1983، ص24-25)

لا شك في أنه من الصعب جداً تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق، كما عرفناه ونعرفه حالياً، رغم أنه ابتداء من مجمع فيينا الكنسي في عام 1312م قرّر إنشاء عددٍ من الكراسي المخصصة للغة العربية في عدد من الجامعات في أوروبا. ولكن مع ذلك فليس هناك دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق، حيث اختلف الباحثون في نشأته وبدايته. ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق أو بيان الأسباب والدوافع للاستشراق؟

ربما أن كلمتي "الإستشراق" و"المستشرق" اللتين تحيلان على دراسة اللغات والحضارات الشرقية بطريقة حديثة ومنظمة ترجعان تاريخياً فقط إلى القرن التاسع عشر. حيث يمكن اعتبار أن في هذه الحقبة تكونت العلوم المختصة عن الشرق. رغم أن جذور وأصول هذا العلم عميقة ففي فترة عصر النهضة مثلاً، ظهرت أولى الميول لدراسة اللغة العبرية ثم اللغات الشرقية الأخرى الضرورية للوصول إلى أصول النصوص الإنجيلية. وفي القرن السابع عشر أيضاً، كانت البحوث المجراة من طرف الغرب عن الشرق لا تتعلق بمسألة الهيمنة بقدر ما كانت تمثل رغبة الأوروبيين في التعرف على أصولهم الدينية في إطار جو تنافسي عقدي. فتكونت بذلك ثقافة عن المشرق تجمع بين الرغبة في معرفة الأصول الدينية والثقافية الأوروبية وإرساء سيطرة ومشروعية داخل الصراعات المندلعة بين الكاثوليك والبروتستانت أي بين المنشقين داخل الحركات التي تأتت من الإصلاح من جهة والقوى المنافسة الأخرى داخل الكنيسة الكاثوليكية من جهة أخرى.

صدق الله ﷻ حين قال في كتابه الحكيم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ" سورة آل عمران، الآية 118.

وقال أيضا ﷺ : "إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبُكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" سورة آل عمران، الآية 120.

لقد تبين فيما بعد أن الاهتمام الكبير الذي أولته الدول الأوروبية للشرق عامة بكل مكوناته الثقافية والجغرافية وموارده الطبيعية وللناطق ذات الأغلبية المسلمة منه بصفة خاصة كان هو نقطة البداية للحركة الاستشرافية كما هي معروفة لدينا الآن، حيث تزامنت هذه البداية، كما أرخ لذلك العلماء، مع انطلاق حملة نابليون في مصر. وانتشرت بعد ذلك الحركة في كل أنحاء الغرب جاعلة من دراسة الثقافة الشرقية في كل جوانبها أولوية كبرى في إطار التوسع الأوروبي وتطلعات الدول الأوروبية لبسط نفوذها على الشرق من أدناه إلى أعلاه. إذن فالاستشراق الذي يهمننا ويعنينا هو ذلك التيار الفكري الذي يُعنى بفهم الثقافة الإسلامية والمسلمين خاصة ويضم كل الدراسات الغربية التي تهتم بالعقيدة والسنة والشريعة والتاريخ الإسلامي، إلخ.

لقد زود المستشرقون بلدان الغرب بمعلومات كثيرة عن الإسلام وحضارته، وعن عادات المسلمين، ولغاتهم، خصوصاً اللغة العربية، حتى تيسرت لهم كل السبل لمعرفة مكامن قوة وضعف الأمة لينقضوا عليها ويمزقوا جسدها. ولا مجال للشك في أن مهمة المستشرقين كانت دائماً مرتبطة بالترجمة. فهدف المستشرق هو إعطاء تصور للعربي والمسلم الشرقي (علماً أن المشرق الإسلامي في نظرة الغرب المستشرق يمتد من بلاد المغرب إلى تخوم المشرق الأقصى) وتقديمه في قالب حقيقة، تعرض هذا التصور أو التأويل الثقافي على المتلقي الغربي في لغته الأم أي اللغة الهدف بالنسبة للمترجم. وهنا نرجع مرة أخرى إلى هذا الرابط الذي يجمع بين البعيد والقريب بفعل الجهد الترجمي، حيث يستورد المترجم المستشرق نصوصاً غريبة عن ثقافته ثم يعالجها حسب منظوره الخاص، مغرضاً كان أو نزيهاً، لينقلها إلى اللغة المستقبلية. لهذا فإن التصور الغربي للثقافة والحضارة الإسلامية تجلّى بشكل ملحوظ أكثر من خلال ترجمات المستشرقين للموروث الإسلامي في إطار تصور مبني في أغلب الأحيان على رؤية التميز والمثالية في كل ما هو أوروبي والدونية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، خصوصاً أن بدايات الاستشراق تزامنت مع تطور مفاهيم الانتقاء الطبيعي والآراء العنصرية التي كنا قد ذكرناها سابقاً والتي طبعت القرن التاسع عشر في أوروبا. ويظهر ذلك جلياً من خلال جهل المترجم المستشرق لضوابط اللغة العربية ولثوابت الإسلام وعدم إخضاع ترجمته لمنهج العلمي يقتضي اطلاعه على أهم المؤلفات الإسلامية في اللغة وعلوم القرآن والحديث. فقد أسس المستشرقون نظرياتهم عن الإسلام بالتشكيك في حقائقه وثوابته، من أجل إعطاء صورة شنيعة عنه، فأولوا اهتمامهم الشديد بالقرآن الكريم من خلال ترجمة معانيه وتأليف الكتب المتعلقة بعلومه.

انطلاقاً من هذا المنظور الذي يرى في المستشرق ناقلاً متحيزاً لأصوله ومتحاملاً على كتاب المسلمين، القرآن الكريم وعلى الدين الإسلامي ومترجماً مغرضاً إلى لغة ذويه من أهل الغرب، وكذلك انطلاقاً من العداء الغربي الذي أحس به العرب والمسلمون في قراءة المستشرقين لحضارتهم، لدينهم وللغة ولثقافتهم بتحقيرهم مقارنة بالحضارة الغربية القائمة على الترفع وحب السيطرة، نشأ في صدور العرب والمسلمين بصفة عامة حقد وضغينة اتجاه الاستشراق والمستشرقين استمرا منذ بدايات الحركة الاستشرافية، بتزائمها مع إرادة الهيمنة الاستعمارية الأوروبية على الدول الإسلامية التي سقط فيها حكم الخلافة الإسلامية وتفتت فيها المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلى يومنا هذا. وربما هنا يكمن سر إغراض المسلمين وتحريمهم للترجمة القرآنية، لأن باطن عقولهم ونفوسهم ربط بين ويلات الاستعمار التي عانوا منها من جهة وذلك المجهود الاستشراقي الذي ابتذل دينهم وثقافتهم وحضارتهم ولغتهم ومهد لدخول المستعمر لبلادهم. وللأسف لا يمكننا إنكار أن كل هذه العوامل حاضرة إلى يومنا هذا في الذاكرة الجماعية العربية والإسلامية ولها تأثير غير محمود على علاقاتنا مع الغرب.

العلاقة بين العرب والمسلمين والغرب مسألة حضارية من الأهمية بمكان، اكتسبت مع مرور الوقت تأثيراً مهماً نظراً لما شهده وما يشهده العالم من تحولات جذرية في كينونته. لهذا فإن البحث في كل ما يتعلق بحركة وعلم الاستشراق أضحت مهمة جسيمة بالنسبة لنا في ظل تقلص الفواصل بين الشعوب وتداخل المعارف والثقافات. ولكن يجب الأخذ بالاعتبار أن الرؤى الاستشراقية في دراسة العرب والمسلمين تعددت وتفرعت، لذلك وجب علينا أيضاً من ناحيتنا ألا نرى الغرب من جانب واحد، الجانب السلبي. ومن خلال هذه الدراسة سوف نعيد رسالتنا التي تنفر من كل أنواع العصبية والعنصرية بلفت الانتباه إلى أنه كما كانت المقاصد مختلفة ومتباينة، فكذلك هي الأعمال. صحيح أن الجوانب السلبية للاستشراق تتمثل في تعدد الأخطاء الشائعة في البحوث التي تناولت سمات الدين الإسلامي البارزة والثقافة العربية بلغتها، المتعمدة منها أو النابعة من الجهل بالآخر، والتي لا تخفى على كل ذي عقل راجح، لكن من جهة أخرى، فالنواحي الإيجابية تتجلى في العديد من الأمثلة، كقيام بعض المستشرقين بمجموعة غير هينة من الدراسات اللغوية النافعة والموسوعات المفيدة وكذا العناية التي أولوها بالمخطوطات العربية حيث قاموا بفهرستها وتحقيق عدد كبير منها.

3- ترجمة القرآن الكريم:

3-1 ترجمة ألفاظه أو ترجمة معانيه؟

تطرقت العديد من الأبحاث في علم الترجمة لمشكلة الترجمة الحرفية المتساوية والفرق بينها وبين الترجمة التي تهتم أكثر بالنص في لغة المستقبل، بحيث يحاول فيها المترجم إعطاء الأولوية لفهم معاني النص الأصلي أو النص المنبع ونقلها إلى اللغة الهدف في الصورة الأقرب إلى فهم المتلقي للمعلومة.

بالنسبة للترجمة الحرفية للقرآن، من المهم أن نعلم أن كتاب الله ﷻ نزل لهدفين رئيسين:

الهدف الأول: القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ الذي تنزل على رسوله محمد ﷺ وهو معجزة من معجزات الله ﷻ تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة التي بلغته من رب العزة، أي كلام الله المعجز للبشر الذي لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا مع الجن على ذلك. ويكمن إعجاز كتاب الله تعالى في خواصه النحوية واللغوية والبلاغية التي لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى مهما كانت لها خواصها هي أيضاً. لهذا السبب استحالت الترجمة الحرفية، لأنه لو تُرجم القرآن حرفياً ستضيع بكل تأكيد هذه الخواص الفريدة المقصورة عليه، وستنزع عنه صفة الإعجاز ودلالته على صدق نبينا ﷺ.

الهدف الثاني: قال الله ﷻ في كتابه الكريم:

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" ، سورة البقرة، الآية 185.

إذن فالقرآن تنزل على رسول الله ﷺ من أجل هداية البشر لما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة من خلال استنباط الأحكام والعظات منه. لكن إذا كانت المعاني الأصلية للقرآن سهلة الترجمة وإمكانية استنباط الأحكام منها حتى في اللغات الأخرى، فإن هناك معانٍ أخرى ثانوية في كتاب الله ﷻ توجب اجتهادات العلماء والأنمة من أجل جهد استنباط الأحكام والمواظ، ويستحيل منطقياً في هذه الحالة أن تتمكن الترجمة الحرفية من إعطاء المعنى المبتغى.

أما عن الترجمة التي تُعنى بمعاني القرآن الكريم: فهي عبارة عن نقل لمعاني الآيات بلغة المستقبل دون الاكتراث بالنظم العربي وترتيب الكلمات العربية، بحيث توجب على المترجم أن يفهم المعنى القرآني جيداً ثم يحاول نقله إلى لغة المتلقي وفق قواعدها وتركيبها.

من خلال هذا التقديم لقسمي الترجمة الأساسيين ومدى قابلية النص القرآني للتوافق مع أحدهما، أضحي بإمكاننا الإقرار بجواز ترجمة معانيه، لأنها ترجمة تحاول تبليغ معاني آيات كتاب الله ﷻ بلغة مغايرة للعربية التي نزل بها القرآن الكريم على محمد ابن عبد الله ﷺ.

وعلمنا أنه انعقد إجماع علماء المسلمين على جواز تفسير معاني القرآن الكريم بالعربية، فقد تكونت لدينا قناعة أن ترجمة معانيه جائزة بهذا الإجماع. لأنه إذا كان تفسير القرآن هو شرح نص الكلام الإلهي من أجل فهمه، تدبره، بيان معانيه، شرح الغامض فيه، واستنباط هدى الله ﷻ منه، فالترجمة التي تعنى بالمعنى تدخل في نفس هذا النطاق بما أنها ترجمة للمعنى لا للنص القرآني كما أنزل باللغة العربية، حتى لا تلتفت الأمور على أحد ونعرف أن هذه المعاني المترجمة ليست كلام الله وإنما هي فقط كلام المترجم. وبالتالي فالصلاة لا تجوز بها وكل مسلم حديث الدخول للإسلام مجبر على تعلم بعض السور من القرآن باللغة العربية كي تصح بذلك صلاته.

2-3 ترجمة القرآن من أجل إدراك معانيه واتباع هدى الله:

إن الترجمة القرآنية وحدها هي القادرة على إظهار ثوابت الإسلام لغير المسلمين لطرح سبل الحوار معهم وتوضيح موقف ديننا الحنيف من كل ما يتعلق بالدنيا والآخرة بصراحة وإيجابية في التعامل. لأن وصول الإسلام كان مشوهاً إلى كثير من الناس وكان عاملاً مهماً في خلق التوترات مع أهل الديانات الأخرى على مر الزمن. لأنهم للأسف، وهنا أخص بالذكر أهل الغرب، لم يعرفوا الإسلام إلا عن طريق المستشرقين وتصوراتهم المغلوطة عن الإسلام، التي حجبت عن معظم أهل هذه الديانات رفعة مبادئ دين الله ﷻ الحنيف ومكارم أخلاق الرسول ﷺ وأتباعه. وبالتالي فإن الترجمة الصحيحة الصارمة التدقيق والصادقة في النوايا لمعاني القرآن هي الكفيلة بفتح قلوبهم وبصائرهم أمام دعوة الله جل وعلا، وهي التي بإمكانها إعانة الدعاة في واجبه الدعوي من أجل تبليغ رسالة الإسلام على أحسن وجه وإطلاع شعوب العالم على الهدى القرآني في لغاتهم التي شربوا عليها.

وفي كتابه الذي جاء تحت عنوان "الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" أيد الكاتب محمد فريد وجدي فكرة ضرورة ترجمة القرآن الكريم لأنه رغم تنزله بلسان عربي مبين، فانه ﷻ أمرنا بتبليغه للعالم بأسره بكل إمكانياتنا بما في ذلك من نقل لمعانيه إلى اللغات الأخرى. ولم يخطئ بتاتا حين قال دفاعاً عن مشروع ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ورداً على معارضة الأستاذ محمد مصطفى الشاطر قائلاً: "نحن نعتقد أن القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه ولا يدرك غوره، كما يعتقد الأستاذ (الشاطر) ولكننا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى إلى درجة التعطيل، واعتباره طلسمًا تضل العقول في فهمه، ولا تصل منه إلى حقيقة ثابتة فإن هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه الله في غير آية بأنه آيات بينات، وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات، حتى قال: "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" *، أي سهلناه للاتعاظ وكررت هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة..."، وقال أيضاً: "وهنا يسوغ لنا أن نقول: إذا جربنا على مذهب الأستاذ الشاطر في تفسير الآيات وترجمتها، ثم رجع العلم عن رأيه الأول، أنعيد إن ذلك ترجمة القرآن،

أم نترك الترجمة على خطائها ولكن الترجمة على الأسلوب الذي ذكرناه فلا تجعل محلا لمثل هذا الندم، لأن الكلمة قد تبدلت إلى ما يرادفها في الإفادة، من دون التعرض للشرح والبيان، تاركين ذلك إلى فهم القراء، كما هو الحال بالنسبة إلى الكلمة في موضعها من القرآن" (وجدي. م. ف.، 1936، ص28-29).

قال الله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" سورة النحل، الآية 44. لقد جعل العلماء التفسير من فروض الكفاية، لأن وجود المفسرين في الأمة هو من واجبات الدين، وأنه علم وجب تعلمه. إذن فنحن نبني استنتاجنا على هذا الأساس: بما أن ترجمة معاني القرآن هي نقل لمعانيه فقط للقرآن بلغة أخرى وشرح لها، إذن فهي من الأمور الواجبة على المسلمين لما ينشأ عنها من منافع، كتعريف معاني القرآن وإيصال هدى الله جل جلاله لكل من لا يفهم اللغة العربية بتبليغ عقيدة ديننا الصحيحة وشرائعه الكريمة التي تضمن للإنسان سبل العيش الكريم وتجيب على متطلبات حياته ماديا وروحيا، وأيضاً هي السبيل للدفاع عن كتاب الله ﷺ بتبيان تدليس من تعمد الإخطاء في ترجمته ليظهره لكل من جهل لغته في صورة سلبية تبعد من يريد اعتناق الإسلام عن سبيل الرشاد والهدى.

3-3 مشاكل ترجمة معاني القرآن وشروطها: (الأمير. أ.، بدون)

أولا يمكننا أن نصنف المشاكل التي تصادف المترجم في الترجمة القرآنية في ثلاث أقسام:

1- مشاكل خاصة: وهي مشاكل تخص المتلقي في لغته المغايرة للعربية والخلفيات التي قد تؤثر على فهمه للنص المترجم.

1-1 الخلفية التاريخية:

يجب أن يعرف المترجم أن المتلقي غير العربي لا يتوفر على خلفية تاريخية عن الأحداث التي وردت في كتاب الله التي تخول له وضع النص في سياقه التاريخي من أجل فهمه وربما قد تتكون لديه أحكام مغلوطة عن هذه الأحداث إذا لم ينتبه المترجم إلى ذلك، لهذا فيجب عليه تناول الآيات بطريقة توضح ظروفها التاريخية.

2-1 الخلفية الدينية:

كل مترجم للقرآن ملزم بأن يعلم أن المتلقي الأجنبي عن لغة القرآن هو أيضا أجنبي عن أحكامه وإرشاداته. إذن من أجل ألا يقع المتلقي في حكم خاطئ على الإرشادات والأحكام التي نزلها الله ﷻ في كتابه المجيد وجب على المترجم لكلام الله أن يوضح كل غموض قد يلحقها إيضاحا جليا في ترجمته حتى وإن اضطر إلى الإسهاب في ترجمته.

3-1 الخلفية اللغوية:

اللفظ العربي القرآني جامع لعدة معاني، أما القارئ الأجنبي عن لغتنا فهو لا يتوفر على أي خلفية لغوية عربية، لهذا فإنه موجب على المترجم أن ينقل المعنى الذي يصوره اللفظ القرآني في إدراك المتلقي العربي إلى إدراك المتلقي غير العربي بألفاظ مناسبة في لغته، تحافظ على المعنى السليم، وتجنب التعامل مع المتلقي في اللغة الهدف على أنه مدرك لألفاظ القرآن ومفاهيمها.

4-1 الخلفية الثقافية:

لكل ثقافة أديبها ودلالاتها، ولها مصطلحاتها التي قد لا تُفهم بل وتصبح كلمات مبهمة إذا تُرجمت إلى لغة أخرى دون مراعاة الاختلاف الحضاري والثقافي. لهذا فيجب على المترجم القرآني أن يحترم هذه الفروق حتى يعطي نصا سلسا سهل الفهم بالنسبة للمتلقي.

5-1 احترام الحس النقدي عند المتلقي:

بما أن اللفظ العربي القرآني جامع لعدة معاني فإن الترجمة موجبة بأن تراعي الحس النقدي لدى المتلقي باختيار الترجمة الصحيحة للآيات التي قد توحى بلبس بعد ترجمتها، علما بأن المتلقي قد تكون له أحكام مسبقة عن ديننا والتي تكونت لديه من خلال تراجم ومؤلفات أخرى مُغلطة.

2 - مشاكل عامة: تتعلق بالصفات والميزات التي يجب أن تتوفر في المترجم القرآني حتى يكون مجهوده موفقا.

1-2 تخصص المترجم في الترجمة الدينية:

الترجمة القرآنية هي عمل من الأهمية بمكان ولا تحتل الارتجال والابتداء، لذلك فمن المستحب أن يكون المترجم ممن عمل في مجال الدعوة لغير المسلمين حتى يتمكن من فهم عقلية المتلقي ويستطيع الوصول إليها بأدق العبارات وأصح الألفاظ. ومن جهة أخرى يجب أن يكون المترجم متخصصا في مجالات الفقه الإسلامي وعلوم القرآن وعلوم التفسير مطلعا على أهم المؤلفات التي نشرت في هذه التخصصات حتى تخلص ترجمته من الأخطاء الناتجة عن جهل بهذه العلوم.

2-2 المهارة الأدبية والإمام المترجم بثقافة اللغة الهدف:

إن لم يكن المترجم متقنا لفن الكتابة والصياغة فسوف يصل الكتاب للقارئ بصورة مشوهة المعنى والدلالة. من جهة أخرى فعلى المترجم، ناهيك عن إتقانه للغة القرآن الكريم، أن يكون مطلعا على حضارة وثقافة اللغة الهدف حتى تكون ترجمته واضحة سلسلة الأسلوب بالنسبة للقارئ الأجنبي لأن اختلاف الثقافات يغير معنى الكلمات عند نقلها من لغة لأخرى.

3-2 الإمام بعلم الترجمة:

من البديهي أن المترجم بالإضافة لإلمامه بالعلوم الدينية وبحضارة المتلقي وثقافته ولغته يجب أن يكون على دراية تامة بخبايا فن الترجمة وتقنياته وطريقة نقل المعاني القرآنية من لغة الضاد إلى اللغة المستقبلية للمعلومة.

4-2 مشكلة التأهيل في تخصص الترجمة الدينية والقرآنية:

مما يُؤسف له أن تغيب في مدارس الترجمة وكليات الدراسات الإسلامية شعبة خاصة بالترجمة الدينية والقرآنية، حيث أن أغلب التراجم المنجزة من طرف مترجمين مسلمين هي ناتج مجهود شخصي للأناس لم يتلقوا تعليما أكاديميا علميا مختصا في هذا العلم القائم بذاته وبالبالغ الأهمية. لهذا، والأمر جلل، استوجب من القائمين على ميدان الترجمة في بلاد العرب والإسلام أن يخلقوا هذا الاختصاص في جامعاتنا ومدارسنا العليا،

الذي سيخول لمترجمين أن يكتسبوا الخبرة الفنية اللازمة في هذا العلم وطرق ترجمة النص الديني بصفة عامة وترجمة معاني القرآن بشكل خاص. 3- المشاكل العملية: وهي المشاكل التي تتعلق بالجانب التنفيذي لجهد الترجمة:

1-3 الابتعاد عن متطلبات الترجمة وعدم احترام معاييرها.

2-3 ابتعاد النص المترجم عن النص الأصلي.

3-3 عدم احترام الشروط التي يجب أن تتواجد في النص المنقول إلى اللغة المستقبلة.

4- خاتمة:

1-4 النتائج والتوصيات:

- إذا كانت رسالة القرآن الكريم كونية تنزلت على رسولنا محمد ابن عبد الله ﷺ ليبلغها للناس كافة، فاللغة العربية هي لغة العرب فقط، وغير العرب ليسوا بملزمين بتعلمها وفهم خاصيات ثقافتها من أجل فهم كتاب الله ﷻ بهدف الدخول في دينه الحنيف، لأن التعريف بالإسلام وعقيدته وأحكامه وقرآنه دور منوط بأهل العربية ومن أحسن فهمها والتكلم بها من المسلمين.

- بما أن الترجمات المغلوطة والمغلطة في يومنا هذا منتشرة بكثرة وفي كل مكان، ترجمات اعتراها القصور واتسمت بإغراض أصحابها، واتصفت بتعدد عيوبها، وهي بتواجدها وتعددها تزيد من الإساءة لدين الله تعالى وللمسلمين، وجب على كل من أنيطت له مهمة نشر الإسلام، خدمةً لكتاب الله ﷻ، نقله وترجمته ونشر تعاليمه المجيدة بكل لغات العالم حتى تعم خبراته على كل الأمم والشعوب ويحق القول على من رفض دعوة الله ﷻ للخير ونُذره.

- إن كانت مهمة نشر الدين أمانة عظيمة في أعناق العلماء والأئمة فهي كذلك أمانة جليلة بالنسبة للمترجمين لأنها من المتطلبات الجوهرية للدعوة إلى الله ﷻ ولأن ديننا الحنيف في حاجة اليوم وأكثر مما مضى إلى إنجاز ترجمات دقيقة وصحيحة لمعاني القرآن الكريم في كل اللغات، حيث حث رب العزة ﷻ أهل العلم عليها قائلاً في كتابه الكريم: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "، سورة فصلت، الآية 33، وقبل ذلك أوصى رسولنا ومثالنا الأعلى ﷺ بتبليغ الرسالة المجيدة: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "، سورة الحجر، الآية 94.

- العمل على ترجمة القرآن يوجب على كل من يمتحن الترجمة الخضوع لنظرة موحدة شاملة في مجهودهم حتى لا تختلط الأمور على الناس وتشيع الفوضى في التراجم المعروضة وكذا في فهم المعاني المترجمة بالنسبة للمتلقين الأجانب عن لغة العرب. وبذلك يجب ألا تختلف الترجمات عن النص القرآني الأصلي إلا في أمور بسيطة لا تبدل الصورة التي جاء بها الأصل.

- لقد أجريت محاولات كثيرة لترجمة معاني القرآن الكريم لمختلف اللغات التي يتكلم بها المسلمون وغيرهم، وأظهرت هذه الأعمال صعوبة مهمة المترجم في إيجاد كلمات دقيقة وفيية لمعاني مفردات القرآن العربية باللغات المترجم إليها. فلاحظنا تباين تلك الترجمات في جودتها وحصافتها اللغوية، وهذا نظراً لكونها محاولات فردية استدعت من أصحابها سنوات طويلة من الجهد الشاق والمضني. هذا في غياب نظرة موحدة لجميع الدول الإسلامية تستغل التقدم العلمي والتكنولوجي في ميدان المعلومات والترجمات من خلال خلق قواعد للبيانات متاحة للمترجمين في كل أنحاء العالم، عبر الأنترنت،

تخول لهم الاستفادة من ترجمات موحدة لألفاظ القرآن الكريم بجميع اللغات في إطار عمل جماعي سيمكننا إن شاء الله ﷻ من إنتاج ونشر ترجمات لمعاني القرآن بدون اختلافات مريبة تشكك المتلقي الأجنبي في صدق عقيدتنا ومكارم الأخلاق التي يدعوننا إليها ديننا الحنيف.

5- قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- التفاسير:

- الطبري، محمد بن جرير، وآخرون. *الباحث القرآني*. تم الاسترجاع من الرابط www.tafsir.app

- الصحاح:

- البخاري، محمد بن إسماعيل، وآخرون، *الدرر السنية*. تم الاسترجاع من الرابط www.dorar.net

- *الكتاب المقدس*، (1980). الترجمة العربية المشتركة. القاهرة، مصر: دار الكتاب المقدس.

- المعاجم:

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. تم الاسترجاع من الرابط www.lesanarab.com

- معجم المعاني الجامع. تم الاسترجاع من الرابط www.almaany.com

- الكتب:

- ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني. (1995). *مجموع الفتاوى*. تحقيق بن قاسم، عبد الرحمن بن

محمد. المدينة المنورة، العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- التسماني، محمد حمادي الفقير. (2001). *تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين ودوافعها وخطرها*.

المدينة المنورة، العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- ديدات، أحمد. (بدون تاريخ). *الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية*، ترجمة وتعليق مختار، محمد. القاهرة، مصر: المختار

الإسلامي،

- الأمير، أحمد. (بدون تاريخ). *ضوابط ومعايير في ترجمات معاني القرآن الكريم*. أثينا، اليونان: المركز الأوروبي للدراسات

الإسلامية.

- ريكور، بول. (2008). *عن الترجمة*، ترجمة خمري، حسين. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

- زقروق محمود حمدي. (1970). *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*. القاهرة، مصر: دار المنار

- الزيايدي، محمد فتح الله. (1984). *ظاهرة انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه*. طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر

والتوزيع والإعلان.

- سري، طارق. (2006). *المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي*. القليوبية، مصر: مكتبة النافذة.

- سعيد إدوارد. (2006). *الاستشراق - المفاهيم الغربية عن الشرق*. القاهرة، مصر: دار رؤية.

- العزب، محمود. (2006). *إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم*. القاهرة، مصر، نهضة مصر.

- قارة، عبد العزيز عبد الرحمن. (1995). *الإسلام والعنصرية وتفاضل القبائل وذوي الألوان*. جدة، العربية السعودية: دار البشير.
- قرقوتي، حنان. (2006). *اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وأثرها*. بيروت، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الندوي، عبد الله عباس. (1996). *ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب. دعوة الحق 174*، مكة المكرمة: دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي.
- وجدي محمد فريد. (1936). *الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الى اللغات الأجنبية*. مجلة الأزهر، مصر: مطبعة المعاهد الدينية.
- **الكتب باللغة الفرنسية:**
- Calvet Louis-Jean. (2005). *La guerre des langues - Et les politiques linguistiques*. Paris, France : Hachette Littératures.
- **الدراسات والمقالات:**
- النجار، شكري. (1983). *لم الاهتمام بالاستشراق. الفكر العربي 31*. طرابلس، ليبيا.
- العمري، عادل. (2012). *جذور العنصرية العربية. الحوار المتمدن. 3873*. تم الاسترجاع من الرابط www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=327281
- عالم، شوق شاكرا. (2006). *الاستشراق: أخطر تحد للإسلام. دراسات، 3/ ص. 63-78*، شيتاغونغ: الجامعة الإسلامية العالمية. تم الاسترجاع من الرابط <https://www.banglajol.info/index.php/IIUCS/article/view/2675/2271>

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v2.19.5